

رجب.. شهر التوبة والورع



إنّ علّة الورع في أن يشكّل أماناً للإنسان من نفسه، يحرسه ويحميه من طغيان شهواته وغراائزه، وهو سبب طوق نجاّة للمجتمع، به تحفظ الأعراض والدّماء والأموال من آثار الفتنة والنميمة والفتنة، وهو سبب لبذل المعروف وسخاء اليد، فالذى حصّن نفسه بالورع، لا يمكن أن يتورّط في أيّ شكلٍ من أشكال الفساد المالي أو الأخلاقي أو الاجتماعي، أو في رشوة أو تلاعب بالمال العام. إنّ القوانين والتشريعات لا تكفي وحدها لتحفظ البلاد والعباد، هي بحاجة دائمة إلى الورع، بعد أن بات واضحًا مدى قدرة الإنسان على التلاعب بالقوانين والتشريعات، وتغييرها لحسابه، أو تفريغها من مضمونها، ولذلك أسألكم عن الورع قبل الصلاة والمصيام.

ونحن نعيش في هذا الشهر، شهر رجب، ذكرى ولادة الإمام الباقر (ع)، هذا الإمام الذي لقّبواه، إلى جانب كونه باقر العلم، بأزمه إمام الورع، وهو الذي أوصانا: «أوصيكم بتقوى الله، والورع في دينكم، والاجتهاد في وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من بر أو فاجر، وخصوصاً في تلك الوصيّة التي وجّهها إلى أحد أصحابه، حين قال له: «يا خيثمة، أبلغ موالينا أن لا يغرنّ عنهم من الله شيئاً إلاّ لا بعمل، وأنّهم لن ينالوا ولايتنا إلاّ بالورع، وأنّ أشد الناس حسرة يوم القيمة، مَن وصفَ عدلاً ثم خالفه إلى غيره». كما قال جده عليه (ع): «مَن أحبّنا فليعمل بعملنا، وليس عن بالورع، فإنه أفضل ما يُستعان به في أمر الدُّنيا والآخرة».

وأخيراً، لابدّ لنا في هذه الأيام من استثمار أجواء هذا الشهر الكريم «رجب» في العبادة والذّكر والاستغفار، فهو الشهر الأقرب الذي تصب فيه الرحمة على العباد صدّاً، وبالعبادة نرتقي ونعلو ونسمو إلى علية الله لتنزل بنا إلى مفاصل الحياة.

إن كلّ ما نعاينه من فسادٍ هو ليس من يعلنون قطعيةً مع الله، إنّما قد يكون من أصحاب الثفافات السّود، كما كان حال الخوارج.

نحن لا يمكن أن ندّعي الورع، إنّما علينا أن نعيشه، بعيداً عن الشعارات والطقوس الفارغة، ولن يعد كلّ مذّماً في مناسبة هذا الشهر إلى نفسه، ليختبر منسوب الورع لديه، وليدع النظر في مشاكله مع مَن حوله في بيته، أقاربه، جيرانه، أصحابه، لعلّها تكون ناشئةً من انعدام الورع أو نقصانه.

في نظرةٍ سريعةٍ إلى المجتمع لدينا، نكتشف كم صار الخوف من الله مغيّباً، فقد وضعننا الله جانباً، فلم نعد نها به أو نخافه أو نستحي في كثيرٍ من تفاصيل الحياة التي أصبحت - للأسف - الحديث عن مراعاة الله والورع فيها، أمراً مستغرباً ومرفوضاً، والناس تصمّ آذانها. والمشكلة الكبرى أنّ هذا يحمل ونحن نتكلّم باسم الله وباسم دينه ورسوله وبحب آل بيته، ونسينا قول الله الذي دعا إلى التوفيق بين القول والعمل: (إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبَّنَا إِنْ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَرَدَّدَ زَلْعَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَنَّ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزُنُوا) (فصلت/ 30).